

ما اكتسبت، واذا اعجبتم ثورات هؤلاء و أولئك، فهل تمدكم ببرامج عملية وقدرات حية لمواجهة مستلزمات العصر الحديث، وما يفرضه على أهله من تحديات لم تجابه ثوار الأمس، ثم هل يمكن لاعجابكم أن يشمل ما سيطر على الخوارج من تمرد عقيم لم يثمر، وما اتصف به القرامطة من تطرف وصل حد الاعتداء على الحرم ونقل الحجر الأسود من مكانه؟

والمعجبون بالدولة الفاطمية -التي كانت في بداية أمرها دعوة مهدية شعبية معارضة- ماذا يستطيعون أن يجدوا فيها عندما استلمت السلطة غير البذخ والترف والتحالف في نهاية الأمر مع العدو الأفرنجي ضد بقية العرب والمسلمين.؟

أما آخر المحاولات وأعجبها فهي محاولة إعادة الاعتبار للتاريخ العثماني ولتاريخ السلاطين والأتراك في العالم العربي الإسلامي باعتبارهم رموزاً للجامعة الإسلامية وللكيان الإسلامي الواحد.. وكذلك للتاريخ الصفوي، بالمقابل، في إيران..

وهذا المنحى التاريخي الجديد في الثقافة العربية الإسلامية المعاصرة مرده إلى اخفاق الحركات القومية والتقدمية التي ثارت على الدولة العثمانية وانفصلت عنها لاقامة كيان عربي عصري جديد.

وهو منحى يرتبط ببعض مفكري الاتجاه الإسلامي الجديد وفصائله للدفاع عن تاريخ الخلفاء العثمانيين وتقديم صورة أخرى مختلفة عما ساد بين العرب عن مظالم الحكام الأتراك وطبيعتهم وشكل تصرفاتهم.

والحقبة التركية حديثة العهد.. والناس مازالوا يتذكرونها ويتذكرون طعمها في ماضيهم القريب ومازالت بعض الأنظمة والقوانين والعادات والعقليات ذات الطابع العثماني قائمة في بعض البلاد العربية أو أكثرها مهما اختلفت أشكالها واسماؤها.

ونحن لا نريد أن ندخل في جدل حول صلاحية الحكم العثماني أو عدم صلاحيته.. فتلك أمه سلفت أيضاً.

والحكم العثماني، كغيره من ظاهرات التاريخ، كائن عضوي، تترايط اجزائه واعضاؤه في حقيقة كلية واحدة لا بد من النظر إليها في مجموعها وعدم انتقاء اجزاء